**المحاضرة الرابعة: قصيدة النثر**

1. **بين الشعر المنثور و قصيدة النثر:** قبل الحديث عن "قصيدة النثر" لا بدّ أولا أن نوضّح مصطلح "الشعر المنثور" لأنه قد يتداخل مع مصطلح "قصيدة النثر"، و فيه ما يدل على الجمع بين فنين هما: فن الشعر و فن النثر و كلاهما متباينان، و لكل منهما خصائصه الفنية و مميزاته الشكلية، و بالرغم من ذلك فإن الجمع بين هذين إنما يعني الأخذ من خصائص هذا و خصائص ذاك بما يتناسب مع الشكل الجديد و الذي يكون فيه الشعر هو لبّ العمل الفني، و يمكننا أن نلخص خصائص هذا النوع من الشعر في:
* التدفق الشعري الحر و انعكاس التجربة الانفعالية الصادقة في صورة شعرية.
* التحرر من كل قيد كالوزن و القافية و الصور التراثية.
* التنغيم الداخلي؛ أي الاعتماد على الموسيقى الداخلية باختيار الألفاظ و الاعتماد على الجمل القصيرة المتساوية الطول أو المتقاربة، و استخدام السجع و الجناس بين الحين و الحين، و هي أهم هذه الخصائص.
* الاعتماد على التصوير أو ما يمكن أن نسميه التعبير بالصورة التي تتسم بالجمال و العذوبة و الغنى المعنوي حتى في التعبير عن الأفكار الجزئية.
* التكرار الذي استعاضوا به عن تكرار الوزن و القافية، و يكون ذلك على مستوى اللفظ أو على مستوى الجملة، شرط أن تحمل هذه الألفاظ و الجمل تدفقات شعورية، أو أن تحدث جرسا إيقاعيا.

و من نماذج الشعر المنثور ما كتبه "جبران خليل جبران" و "أمين الريحاني" في "الريحانيات" متأثرا بــ"وولت ويتمان"، و يرى "حسين نصار" أن في ديوان "نِقولا فياض" "رفيق الأقحوان" قطعة شعرية نثرية بعنوان**"التقوى"** وصفت بأنها شعر منثور. و ممن كتب الشعر المنثور أيضا "عيسى اسكندر معلوف" الذي كتب نصا من "الشعر المنثور" في مجلة "الهلال" عنوانه"الهواء و الصمت" عام 1906م، غير أن هذا الكاتب ابتعد عن روح الشعر قليلا، بحيث يتعذر على القارئ أن ينسب هذا النص إلى الشعر، و بالإضافة إلى هذا كتب "خليل مطران" قصيدة من "الشعر المنثور" في رثاء العلامة "إبراهيم ناصيف اليازجي" عام "1907م، و ما كتبته أيضا "مي زيادة" و "لويس عوض"، و غيرهم من الشعراء.

أما "قصيدة النثر" فهي تعتبر وليدة "الشعر المنثور"، و هي قصيدة أصل مادتها النثر لكنها من جنس القصائد الشعرية، و قد ظهر هذا المصطلح عام 1958م كما ذكر "أنسي الحاج" في ديوانه "لن".

1. **فاعلية كتاب "سوزان برنار" في الشعرية العربية المعاصرة:** يبدو تأثير كتاب " "قصيدة النثر من "بودلير" إلى أيامنا" لــ"سوزان برنار" في الحركة الشعرية المعاصرة واضحا، و هو كتاب طبع للمرة الأولى في باريس عام 1958م، تناولت فيه الباحثة "قصيدة النثر" و عوامل النشأة و التطور و الأسس التي تقوم عليها هذه القصيدة، بالإضافة إلى أعلام هذه القصيدة في المدرسة الرمزية السريالية كـ"بودلير" و "رامبو" و "مالاريه"...إلخ.

و هذا التأثير يتجلى من حيث اعتماد كل من "أدونيس" و "أنسي الحاج" على هذا الكتاب فهما مدينان له في التنظير لهذه القصيدة من خلال مقال لــ"أدونيس" عنوانه: "في قصيدة النثر" تناول فيه مصطلح قصيدة النثر و العوامل الممهدة لها، و القوانين الداخلية لها، و يبدو هذا التأثير أيضا من خلال اعتماد "أنسي الحاج" على هذا الكتاب في التنظير لهذه القصيدة، و هو ما يتجلى في المقدمة التي كتبها لمجموعته الشعرية "لن" الصادرة عن دار مجلة شعر (1960م).

و لا يوجد تعريف محدد لقصيدة النثر، ذلك أن أصحابها تجنبوا أن يعطوها تعريفا لأن في ذلك ما يناقض ثورتهم، غير أنهم تبنوا تصورا يقوم على ثلاث قواعد وضعتها الناقدة الفرنسية"سوزان برنار"، و هي:

1. الإيجاز: لأن القصيدة ينبغي أن تكون قصيرة و متماسكة و يقع تأثيرها ككل لا كأجزاء، و لتوفّر الإشراق وقد حدد بعضهم طولها بين نصف صفحة إلى أربع صفحات.
2. التوهّج:و هو إحدى ثمار الوحدة العضوية للقصيدة.
3. المجانية: أي أن القصيدة عالم بلا مقابل فليس لها غاية تبتغي بلوغها أو البرهنة عليها.
4. **ظواهر أدبية مهّدت لظهور قصيدة النثر:** هناك بعض الظواهر الأدبية مهدت لقصيدة النثر، منها:
* ارتفاع مستوى النثر .
* ضعف الشعر التقليدي.
* الإحساس بعالم متغيّر مما يفرض شكلا جديدا على الشاعر.
* الوزن الحر القائم على التفعيلة عمل منذ الخمسينات على تقريب الشعر من النثر.
1. **الإيقاع في قصيدة النثر:** إيقاع قصيدة النثر يعتمد أساسا على الصور الموسيقية النفسية المرتبطة اتباطا وثيقا بالتجربة الشعرية، أي أنها ألغت تماما الموسيقى الظاهرية، معتمدة على الإيقاع الذاتي الخاص من خلال إدراك التجربة الشعرية.

و تمثل نماذج "قصائد النثر" أدق خصائص هذه الصور الموسيقية الداخلية، و من ذلك قصيدة "محمد الماغوط" "مصافحة في أيار" يقول فيها الشاعر:

* هل وجدت عملا؟
* لا
* هل كتبت شيئا؟
* لا
* هل أحببت أحدا؟
* لا

يقول "السعيد الورقي" معلّقا على هذه الأبيات: (( فهذا المونولوج الشعري إلى جانب ما فيه من سيولة نثرية، يمتلك أهم خصائص الموسيقى كلغة شعرية، و هي الشحنة الانفعالية المتوترة )).